

مشهدية سينمائية لبنانية بتوقيع إيراني تروي سيرة الاستشهادي عامر كلاكش «أبو زينب»

«السر المدفون»... حيث ينبت التبغ بين حنايا التلال ويصل عقب زهر الليمون إلى ما بعد بعد حيفا



عبير حمدان

إنها ثمار الحبة التي لا يدركها الغافلون عن إيقاع النبض الذي يخترته التراب. هي الأرض تنادي فرسانها وهم المختطفون والمعقدون بكحل العيون. عين الأم التي خبأت في صدرها سرها الدفين ولم تدرف دمعها تحت نور الشمس كي لا يبصرها الغاصب ويتأجوه.

أن تضمُّ أمُّ زهرة السوسن إلى صدرها على غفلة من الجميع، وتخشى أن يفضحها الحنين، لفي ذلك عبادة تفوق المشهد المتأطر بشاشة عملاقة، إذ يصبح الدمع جمرًا بعيدنا إلى ما قبل التحرير. حينذاك، كان الغالبون يرسمون درب الشهادة على الأديم، وينبت التبغ بين حنايا التلال، ويصل عقب زهر الليمون إلى ما بعد بعد حيفا.

كيف للعدسة أن تنقل الصورة بما يخترن واقعها من وجع وإنسانية يتخطيان العقل البشري، إنها أمُّ عامر كلاكش، الشهيد الذي حمل شتلات الزيتون إلى فردوسه الخاص عند بوابة فلسطين، وبقي غافيا في قلبها، فكان «السر المدفون» نتاجه بصمت وتصير لأن «البلد أكبر من الجميع».

ححننا كارمن لبس على البكاء حدّ الاختناق وهي تروي كيف ودعت وليدها وباركت خطاه قبيل الترحال. وإلى السماء توجّهت داعية الله أن يتقبل منها هذا القران. برعت في اصطحابنا إلى تلك الحقبة من تاريخنا اللبناني المقاوم، ووصلنا صدى خفقات القلب وكاننا نراقق الاستشهادي عامر كلاكش إلى حيث اختار أن يحيى حرًا، لتبقى الأشجار في قرانا قيد الوقوف والشموع.

«السر المدفون»، مشهدية سينمائية جمعت حضوراً يؤمن بفعل المقاومة لتحرير الأرض، كل الأرض من دون شروط. اختارت شركة «الأرز للإنتاج الفني» أن تطلقه ضمن أجواء الاحتفال بذكرى الانتصار والتحرير، لما يختزن من تجربة إنسانية قوامها الأم الصابرة على الضيم كرمي اللبلد.

العمل في عرضه الافتتاحي الأول جمع نخبة من النجوم أبرزهم أبطاله، واتت الآراء موحدة حول القضية الأساسية المتمثلة بمقاومة الاحتلال فنياً وطاقياً وسينمائياً، ما يتماهى مع فعل البندقية.

عمار شلق والتحدّي

الفنان عمار شلق اعتبر أنّ في الشخصية التي يؤدّيها حجماً كبيراً من التحدي ويقول: «استحدثت عن دوري في العمل لأن الفيلم يحيى عن ذاته. كان هناك تحدّي لي كمثل لأنني أنقل ثلاث مراحل عمرية. عمري كشاب، ثم عمري بعد 15 سنة، وبعد ثلاثين سنة. ناهيك عن الخط المقاوم الذي يتحدث عنه الفيلم وهو استمرارية لمسار فني سابق بذاته في الغالبون وملح التراب، والآن في درب الياسمين».

وتسأل شلق عن سبب منحه دون سواه من الممثلين الأدوار المركبة والصعبة وأدواراً لشخصيات لها رمزية خاصة مثل الشيخ رابع حرب والقاتل العسكري الخفي في ملح التراب، وصولاً إلى تجسيده شخصية والد الاستشهادي

عامر كلاكش فيجب: «هذا السؤال عليك أن تتولى الإجابة عنه بنفسك، وربما يجيبك الجمهور والمخرجون والمنتجون، إنما أنا لأملك جواباً».

ويضيف حول الفيلم: «هذا الفيلم كرمّ الشهيد عامر كلاكش، وهو بالأحرى إنارة على والدته التي استطاعت أن تكتم سره على مدى 15 سنة، وأقنعت والده أنه مسافر طوال هذه الفترة. هذه الأم العظيمة التي استشهدت ابنها واعتقل شقيقاه وتحملت وصيرت، تستحق كل التقدير. وترجو أن تكون قد أوفيناها جزءاً من صودها من خلال هذا العمل».

ويرفض شلق الدخول في لعبة السياسة في ما يتصل بتقبل مختلف شرائح المجتمع اللبناني الطرح الذي يقدمه الفيلم فيقول: «فنياً، قيمة الفيلم عالية، خصوصاً أنّ علي الغفاري لديه أكثر من تجربة حصمت جوائز عالمية من ناحية السينما الإيرانية. ومن جهتي، لا أريد التطرق إلى واقع الخلافات السياسية في البلد والتي تنسحب على الإنتاج الفني. وكل ما أتمناه أن تسقط هذه الحسابات، ويأتي الجميع ليشارك عملاً نظيفاً وراقياً، ينقل واقعا حقيقياً».

معين شريف:

الحق على الإعلام

بدا الفنان معين شريف متحمساً بقوة لما ينتظره في قاعة العرض، وأكد ضرورة تفعيل الجهد الإعلامي في خدمة الفعل المقاوم ولو في الإطار الفني، فقال: «من الطبيعي أن أكون حاضراً في احتفالية من هذا النوع. رمزية الطرح تكفي، ولو أتت متأخرة بعض الشيء، إذ إن عدونا برع في تفعيل نطاق الدعاية الإعلامية لتسويق مخططاته وتمكّن من السيطرة على الفكر والعقل فنياً ليتراقق كل ذلك مع صواريخه وطاقراته الحربية. لذلك كان لا بد من مواجهة إعلامياً وسينمائياً ودرامياً، فصرنا لا نقف على الحدي والنار، وأننا لوم إعلامنا لأنه يغيب عن المادة

الفنية والسينمائية التي تتماهى مع فكرة المقاومة، ويخرج نحو الطروحات الخالية من المعنى والبيعية عن واقعنا».

زين الدين

يؤكد أحمد زين الدين، مدير الإنتاج في «شركة الأرز»، أنّ الشهداء هم في مرتبة متساوية، وستشهد أعمالاً كثيرة تروي سيرهم فيقول: «اخترنا عامر كلاكش لأن قصته تختلف عن أقرانه من الشهداء الذين ينالون المقام نفسه في وجداننا. إلا أن الاختلاف يكمن في الصورة المرئية بالألوان التي تمكّنت من إخفاء حقيقة استشهاد ابنها عن الجميع كي تحمي عائلتها. وبالتحديد عن والده الذي لم يك مناهضاً للمقاومة كما غمز البعض، إنما كان يشعر بأن العدو قادر على البطش، والمقاومة لن تجدي نفعا في مواجهته. وقد اخترنا عرضه في أيار لمناسبة ذكرى التحرير. وهو يختلف عما سبقه من حيث ضخامة الإنتاج والقصة. وكما لاحظت، ثمة غياب كامل للعمليات العسكرية والتريكز على البعد الإنساني. يمكنني وصف العمل بكلمتين: إنساني بامتياز. وهو خطوة أولى لتقديم أعمال مماثلة كي

تعطي كل شهيد حقّه».

زيد بطرس على خط النار

يتمسك الملحن زيد بطرس بالتفاؤل الذي ترجمه في اليوم «على خط النار»، ويسجل حضوره المميز في حفل افتتاح «السر المدفون». ويكلمنا قليلاً، يلخص رؤيته قبيل العرض قائلاً: «للصصة التي يتناولها الفيلم رمزية خاصة، فهؤلاء من يعبد الدرب نحو القدس، ومن حقنا جميعاً الذهاب إلى القدس. أرى ذلك صورة قريبة جداً، وليس بالضرورة أن يكون الحشد الحاضر كبيراً، فالأهمية تكمن في نوعية الحاضرين وإيمانهم بفكرة المقاومة، ثم لا ضرورة لنحکم على حجم الحضور في حفل الافتتاح ولننتظر بعيداً عن التوقعات، وأظن أن العمل بما يمله سيحقق نسبة مشاهدة لا يتخطى بها».

سمر أبو خليل والصدمة الإيجابية

من ناحيتها، اعتبرت الزميلة سمر أبو خليل أنّا سنرى طرحاً مختلفاً بعيداً



عمار شلق متحدّثاً إلى «البناء»

عن التكرار، إذ قالت: «اعتدنا أن تقدّم لنا الجهة الإنتاجية المهمة بسيرة المقاومة والمقاومين واقعاً عايشه من رزح تحت الاحتلال لفترة طويلة. وأظن أننا سنرى معالجة مختلفة بعيدة عن فخ التكرار وقد نصاب بالصدمة الإيجابية».

ألين لحدّ والعمل الجبار

تصف الفنانة ألين لحدّ الخطوة بالعمل الجبار، وعن «السر المدفون» تقول: «القصة تصبيني بالدهشة، واعتبر أننا سنشهد عملاً جباراً بما يتضمّنه من الإنسانية. وكيف لأمر أن تتحمل كل هذا الوجد وتخفي حقيقة الفعل البطولي الذي جسده ابنها على مدى سنوات كي تحمي عائلتها؟»

جورج شلهوب: روعة في الإنتاج

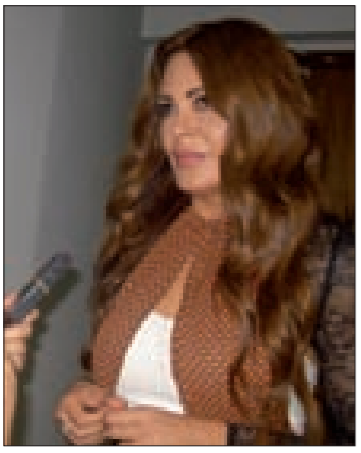
بين الحضور، التقت «البناء» الفنان جورج شلهوب بينما كان يراقب باستمئاع، وأدلى بالتحليل التالي: «رايت روعة في الإخراج والإنتاج والتصوير وأداء الممثلين، لكن هناك الكثير من الميولودراما بشكل قوي ومبالغ فيه. وعلى رغم بعض التكرار في النص، إلا أن المخرج تمكّن من ضبط

الإيقاع بشكل ممتاز. برأيي كان بالإمكان أن تنتج عن القصة الأساسية خطوط درامية أوسع، تفسّر أكثر طبيعة كل ما أحاط بالشاب الذي نفذ العملية الاستشهادية، إن لجهة المحل، أو أهل الأرض، إلا أنه عمل جيد ويستحق المشاهدة».

كارمن لبس... سموّ العطاء

كارمن لبس، الممثلة والإسنانة التي أبكت الحضور بدور أمّ الشهيد الصابرة، تكلمت عن مشاركتها في فيلم: «شخصية أم عامر كلاكش لا تشبهني على الصعيد الإنساني. إنما هي أقوى مني لأنها مثال للحفاظ على العائلة والأرض. وفي ذلك سموّ يتقصنا في لبنان كي نتقدّم ما تبقى». وعن سبب اختيارها لأداء هذا الدور تقول: «لا يمكنني الإجابة على هذا السؤال، وربما رأت الجهة المنتجة أنني قادرة على إيصال الصورة الحقيقية عن هذه الأم اللبنانية الصابرة والمقاومة بامتياز، وهذا أمر يشرفني».

لبس تأسف لأن عملاً من هذا النوع ربما يكون له جمهور من فئة واحدة، كونها ترى أن التقسيم واقع في بلد صار الاختلاف فيه أقرب إلى الخلاف. لكنها تصرّ على مبدأ المشاركة بأعمال لا تتصل عن الواقع بمعزل عن كل ما تشهد من انقسام سياسي، وتشير إلى أنّ دورها كفنانة، يمكن في إيصال الصورة كما هي وبكل أمانة وإبداع.



كارمن لبس

جورج شلهوب

ألين لحدّ

سمر أبو خليل

زيد بطرس

أحمد زين الدين

معين شريف

السريالية في كاريكاتور الشهيد ناجي العلي

عبد الحليم حمّود\*

بعد رحلة طويلة لفن الكاريكاتور مع الكلاسيكية كقالب، والالتزام بقواعد الأبعاد والإضاءة والتريكز على الحرفة والصوغ، والمعالجة المبسطة للمواضيع والأحداث، التحق الكاريكاتور مع باقي المدارس التشكيلية للخروج من عباءة الأكاديمية نحو فضاء أرحب. وكان ذلك على خلفية اختراع آلة التصوير الفوتوغرافي، التي أخذت تقوم بدور الرسام وبدقة النسخ، وهو الدور الذي كان ينتهجه الفنانون في لوحاتهم.

هذا الوضع حذر الريشة من دورها التاريخي في التسجيل والتاريخ، ما دفع بعدة أسماء بارزة إلى كسر الصمغية في الشكل نحو جديد سيء «التأثيرية»، ومن هؤلاء مذكر: مونييه، وريونار، وديغا، وبيسارو وسيزان، والأخير انحاز إلى التوليف الهندسي في تركيب عناصر اللوحة وتوازنها اللونية والخطية، وتريكزه على البناء وهدهو التعبير.

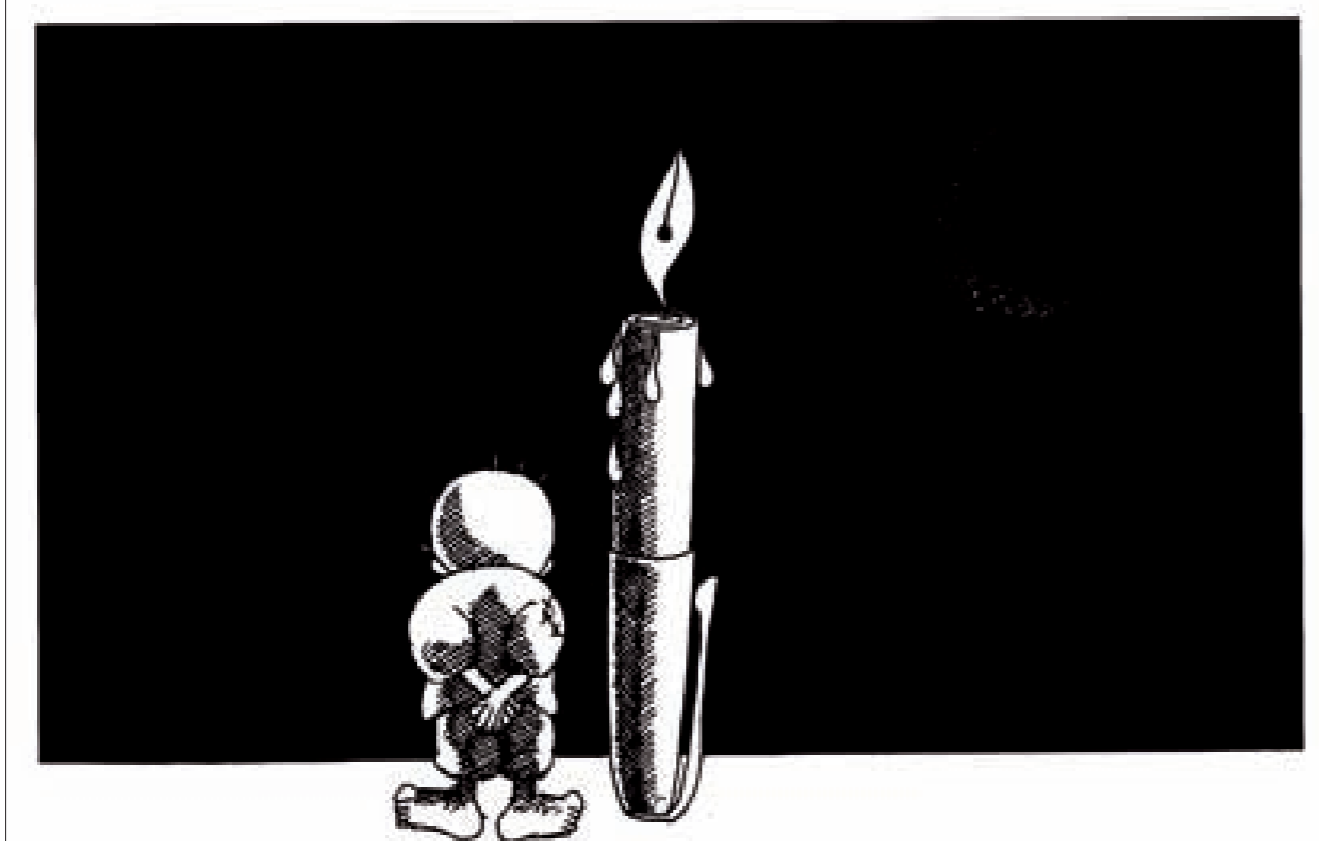
يعتبر سيزان الضابط الأول الذي قاد حركة تشكيل ما سُمّي به «الفن الحديث» في ما بعد، وهناك أسماء أخرى لا تقل شأنًا مثل: فان غوخ، وغوغان، ولوتريك، على رغم التناقض الظاهري على مسيرة كل منهم وأسلوبه.

أنجبت هذه الأسماء شجرات الفنانين المجددين. لكن الأكثر تغييراً وتأثيراً كان مايتس، ثم بيكاسو وبراك، ثم فحمت اللبوابية وعبرت التيارات والمدارس والرؤى المتنوعة والتي تدخل فيها ما هو فكري بما هو تقني، لتصبح بعض المدارس الفنية تيارات سياسية أو فلسفية.

من أبرز هذه المدارس كانت السريالية. وهي مدرسة ولدت من رحم الداءية، واعتمدت على نظريات فرويد في التحليل النفسي وعناوينه: الوعي، اللاوعي، الحلم، الهذيان... إلخ.

دعت السريالية إلى الألفية في الكتابة والرسم لاستخراج مكونات النفس مع الاعتماد على القوالب الدهشة وأحياناً البساحة، واستعار فن الكاريكاتور من السريالية خاصة كسر كل الحزمات بعدما كان الكاريكاتور قد أعار الفن التشكيلي رشاقة الحركة والمبالغة في التعبير وترجمة الأفكار.

يمكننا القول إن فن الكاريكاتور قد أثر بالسريالية بقدر ما أثرت السريالية فيه. أما عند ناجي العلي، فلم يكن الأمر يتعلق بالسريالية ولا غيرها، بل هو التمرّد الطغرى الذي يملكه في أصل تركيبته الشخصية. كانت أعماله بمثابة احتجاج على صنم الكاريكاتور وصمته فقراً وخطأ. حتى في تلك الرسوم التي صنفت منتمدة على الإيقاع الرتيب والأفكار المستنسخة.



إذا استنقنا هذا العطل، نستطيع القول إن السريالية عند ناجي العلي تحمل خصائصها وشخصية ناجي وقصيته ورموزه من دون أي استلاب أمام أحد، غربياً كان أم شرقياً. وهذه الخصوصية هي التي حافظت على هذه الاستمرارية لرسومه، علماً أن ناجي العلي وقيل فترة من اغتياله، عبر أمام عدة أصدقاء عن تمنيه لو يصعد الناس إلى رسومه لأن تنزل هي إليهم.

\* فنان تشكيلي وشاعر ومؤسس جمعية «حواس»

وكنموذج عملي يصور نقطة التقاء السريالية مع كاريكاتور ناجي العلي، نستعرض لوحة ماغريت المسماة «الموديل الأحمر» والمرسومة عام 1937. تمثل هذه اللوحة قديمين آدميين على شكل حذاء، وإلى جانب الحذاء قصاصة صحفية (حولها في ما بعد إلى منجوتة)، وقد قام ناجي باقتباس هذا الرسم - وهي حالة نادرة - وقدمه حرفياً وعلى الصحيفة عبارة (قرارات القمة Gold).